العرب
الخميس 2020/08/13
السنة 43 العدد 11788

طفل سوري يعيد بناء مدينته بواسطة الورق

محمد قطيش يتخيل حلب المستقبل وينقل تجربته للآخرين

الخيال يصلح الدمار

ليست تداعيات الحرب دائما سيئة، فأحيانا قد يكون جانب منها مصدرا لاكتشاف الموهبة وسببا في انتشارها. فمحمد قطيش واحد من الأطفال السوريين الذين عايشوا الحرب في مدينة حلب، واضطر لاحقا إلى الفرار منها. لكن المدينة بشوارعها وأبنيتها لم تفارقه رغم البعد والترحال المتكرر، وها هي اليوم تجول العالم في رحلة تفاعلية عبر الواقع الافتراضي من خلال المجسمات التي صنعها وتخيلها.

لمى طيارة
كاتبة سورية

محمد قطيش طفل سوري عايش الحرب في مدينة حلب المنكوبة، لفت نظر الصحافة والإعلام منذ كان صغيرا بسبب موهبته الفنية الاستثنائية التي ساهمت الحرب ذاتها في تكريسها، كان طفلا موهوبا بالفطرة يرسم بشكل عفوي، لكنه بعد مغادرة مدينته حلب لاجئا، بدأ مرحلة جديدة في عالم الرسم، اتجه خلالها إلى تصميم المجسمات التي حملت صورا لمدينته وشوارعها وأبنيتها.

يقول قطيش "بدأت بالرسم منذ مرحلة الروضة أي ما قبل مرحلة الدراسة الابتدائية الأساسية، والدي كان الداعم الأساسي لي، يأتيني دوما بمستلزمات الرسم من الورق والألوان وغيرها، ثم تحولت تلك الموهبة وتطورت، فبدأت بصنع المجسمات الهندسية لألعابي، تحديدا للدببة التي كنت أملكها، فأصنع لها بيوتا من الورق ولكن بشكل بدائي جدا، ودون أدنى حرفية".

بناء عبر الخيال

فكرة المجسمات في حد ذاتها ليست جديدة ولا حتى استثنائية، فعبر نظرة سريعة على الشبكة العنكبوتية سنحظى بعشرات الورشات والفيديوهات التي تنشر أعمالا مختلفة ومتفاوتة عن هذا الفن البسيط على صعيد الأدوات، والمبهر والرائع على صعيد التنفيذ، محمد قطيش نفسه قد اطلع على البعض منها وحصل على الكثير من الأفكار، خاصة ما يتعلق بمجسمات الأبنية الحديثة، يقول "أول مجسم قمت بتنفيذه كان حول مدينة حلب الحديثة، أي حلب ما بعد الحرب، حاولت في ذلك المجسم أن أستمد شكل المباني من المدن المشهورة، بعد أن أضفت عليها بعضا من معالم حلب الرئيسية كالقصر البلدي وغيره".

لم يقدم قطيش مجسماته بشكل عفوي وفني فقط، بل كانت تلك المجسمات وسيلته الوحيدة لتحفظ ذاكرته تلك المدينة التي غادرها مجبرا، وليعيد بناءها عبر الورق والألوان والصمغ، بطريقة احترافية تخيلية وجمالية.

أثناء وجوده في حلب وتحديدا في العام 2015، تعرف على وعد الخطيب الصحافية التي أخرجت لاحقا فيلم "من أجل سما"، كانت حينها تصور وتسجل يومياتها في المدينة، فقامت بتصويره، ولاحقا نشرت بعضا من مقاطع الفيديو عنه وعن عمله الفني، تقول وعد الخطيب "محمد رأى الدمار الذي حل بمدينته من سطح منزله، وبدأ يعيد بناء كل الأبنية المهمة، بالورق وببعض الأدوات التي جمعها من الأنقاض، تصاميمه أعطتنا الأمل، وألهمت الكثير من الناس حول العالم".

لم تكن الحرب وحدها سببا في انتشار موهبته، بل كانت أيضا السبب المباشر لرحيله مع عائلته، إلى خارج أسوار مدينة حلب، إلى تركيا، وتحديدا مدينة غازي عنتاب، هناك تابع هوايته في تصميم المجسمات فقام بتصميم مجسم للمسجد الذي بقي عالقا في ذاكرته، وتدريجيا بدأ يوسع من عمله فأضاف الشوارع وبعض الأبنية، كل ذلك بطريقة تخيليه فنية أكثر منها واقعيه، يقول قطيش "أردت أن أجسد حلب في المستقبل، كما أريدها أن تكون".

كما قام بإنشاء قناة على يوتيوب نشر من خلالها بعض الفيديوهات التعليمية عن صناعه المجسمات، كل ذلك بجهد شخصي حيث قام بتصويرها وتنفيذها بنفسه يقول "كان الهدف من القناة، تعليم الأطفال طريقة صناعة النماذج".

حاول قطيش عبر تلك الفيديوهات أن يوضح للأطفال أنه بإمكانهم عبر مواد بسيطة جدا أن يصنعوا بيوتهم وحاراتهم وأن يحفظوا ويحتفظوا عبر تلك المجسمات بذاكرتهم عن مدينتهم، لكن القناة توقفت لاحقا عندما غادر تركيا متجها ليستقر في ألمانيا.

الأعمال التفاعلية

في غازي عنتاب التركية، كانت فرصته الذهبية ليلتقي بالمنتج البريطاني أليكس بيرسون، الذي سبق وأن تابع الفيديوهات التي نشرت عنه وأعجب بها، وقرر أن يجعلها تفاعليه، يقول قطيش "بدأت علاقتي بالمنتج البريطاني أليكس برسون من سوريا، بعد أن نشرت الصحافية وعد الخطيب الفيديوهات التي صورتها عني، وشاهدها أليكس وأعجبته وتأثر بها كثيرا، ولاحقا أصبح صديقي على الفيسبوك وبدأنا نتواصل عبر الماسنجر، بداية كنت أعاني من صعوبة التواصل معه لأنني حينها لم أكن أتقن الإنجليزية بشكل جيد، ومن ثم تعمقت علاقتي معه خاصة بعد أن سافرت برفقة العائلة، وكان أول لقاء بيننا حين زارني في مدينة غازي عنتاب".

وأليكس بيرسون منتج فني للأعمال الإبداعية، ومهتم بشكل خاص بالأعمال الفنية التفاعلية المرتبطة بالواقع الافتراضي، وكانت أولى تجارب التعاون بين قطيش وبيرسون في تركيا، حيث قدم العرض الثلاثي الأبعاد في مدينة كهرمان مرعش، ضمن مخيمات اللجوء، حيث قام أليكس بتصوير المجسم وإدخاله إلى الكمبيوتر، ليصبح مادة رقمية صالحة للمشاهدة عبر النظارة الثلاثية الأبعاد، قدم المشروع بدعم من مفوضية الأمم المتحدة السامية لشؤون اللاجئين في تركيا وكان الهدف الأساسي منه، مساعدة الأطفال لإعادة تصور بناء مدنهم المنهارة.

عن تلك التجربة يقول قطيش "كنت أكتفي بتصميم وتنفيذ المجسمات فقط، ولكن أليكس المهتم بالواقع الافتراضي، اقترح فكرة تحويل تلك المجسمات إلى موقع افتراضي، يمكن زيارته عبر تقنيات النظارة ذات الأبعاد الثلاثية، فصنعت له (ماكيت) مجسم عن مدينة حلب المستقبلية التي أتخيلها".

ويرى أليكس أن "الواقع الافتراضي يعتبر مساحة للمبدعين لإغراق الآخرين في عالم تصميماتهم الخاصة، ويعتبر محمد قطيش واحدا من هؤلاء المبدعين والموهوبين الذين باستطاعتهم أن يعلموا الأطفال الآخرين، كيفية إعادة بناء مدنهم باستخدام الورق".

لم تقتصر تلك التجربة على مخيمات اللجوء في تركيا، بل استمرت لاحقا، حين نقل أليكس المجسم وعرضه في عدة دول ومدن أوروبية مثل النمسا والسويد وغيرهما، لكن قطيش لم يكن حاضرا ومرافقا لها، حاولت تلك التصاميم التفاعلية، دعوة الزوار ليشاركوا افتراضيا في بناء حلب والتعرف على تاريخها.

> محمد قطيش لم يقدم مجسماته بشكل عفوي فقط بل كانت وسيلته الوحيدة لتحفظ ذاكرته المدينة التي غادرها

كما تبنى أليكس مشروع محمد قطيش الذي أطلق عليه مستقبل حلب، وهو مشروع يحاول عبره نقل نشاطاته، سواء المتعلقة بالعالم الافتراضي، أو تلك المتعلقة بورشات تعليم الأطفال الرسم وصناعة المجسمات، عن ذلك المشروع يقول قطيش "أطلقت عليه هذا العنوان لأنه يمثلني بداية، ولإحداث التأثير على الأطفال الذين في سني، وكان الهدف الأساسي منه، إقامة ورشات للأطفال السوريين في كافة المدن السورية وليس فقط في مدينة حلب، الذين يحلمون بمدنهم المدمرة، بصورة متطورة، تمتلك التكنولوجيا"، عمل محمد في تلك الورشات مع العديد من الأطفال السوريين حول العالم، في محاولة منه لمساعدتهم على تخيل مدنهم التي غادروها.

موهبة الرسم وتنفيذ المجسمات لم تثنه عن متابعة دراسته، يقول قطيش الذي بلغ اليوم 15 عاما "عندما غادرت سوريا إلى مدينة غازي عنتاب التركية، كنت لا أزال في المرحلة الدراسية الابتدائية، تحديدا في الصف السادس، وكان قرار العائلة حينها التوجه إلى أوروبا، لكن الظروف حالت دون ذلك، وبقينا في تركيا لثلاث سنوات، تعلمت خلالها اللغة التركية وتابعت دراستي وأكملتها حتى وصلت إلى الصف التاسع (شهادة الإعدادية)، وحاليا بعد أن انتقلنا إلى ألمانيا، بدأت بدراسة اللغة الألمانية، لأتم دراستي وألتحق بعد ذلك بالجامعة لأدرس الهندسة المعمارية التي طالما حلمت بها".

هذا وسيقوم قطيش بدءا من 15 أغسطس الجاري، بعدة ورشات فنية عبر الإنترنت وتحديدا عبر برنامج زووم، وستشارك في تلك الورشات مجموعة من الأطفال حول العالم، من خلال تقديم الأبنية التي سيصممونها وسيتخيلونها عن بيوتهم التي تضررت جراء الحرب، لإضافتها لاحقا إلى مشروع المدينة الافتراضية الجديدة، وسيكون بإمكانهم بعد ذلك الدخول إليها عبر تطبيق على الهواتف الذكية.

لوحات التشكيلي العراقي شكري حامد الشبيب خطاب ضد الظلم

حجاج سلامة

الأقصر (مصر) – قال الفنان التشكيلي العراقي شكري حامد الشبيب، إن معاناة الفنان التشكيلي العربي، ترجع إلى تجاهل فنه، ونقص الوعي المجتمعي العربي بالفنون التشكيلية، وبدورها ومكانتها.

وأضاف في حديث له عبر الهاتف مع وكالة الأنباء الألمانية بأنه ورغم التجاهل والمعاناة وقلة الاحتكاك وبرغم قسوة الأزمات التي مرت على الوطن العربي، وما فرضته من عوامل ضاغطة تستنزف طاقة الفنان الإبداعية، ينافس الكثير من التشكيليين العرب بقوة دوليا وعالميا.

ورأى أن الحركة التشكيلية في العالم كانت قادرة دوما على مواجهة كل التحديات والأزمات، وأن تلك الحركة لم يكن هناك ما ينغصها في كل الأوقات، وذلك "بفضل مقومات نجاحها التي تعطيها الريادة عادة".

وأضاف الشبيب، أن المخرجات الفنية لأغلب الفنانين العرب جيدة، بفضل سعيهم للتحرر من عزلتهم، وتحقيق ذواتهم وامتلاك أدواتهم الفنية بقوة.

وأكد الشبيب بأنه يرى أن نجاح العمل الفني يكمن في إعطاء المتلقي حقه في تأويل العمل كي يكون عنصرا مهما من عناصر نجاح اللوحة.

ومن ثم فإنه يرفض "تجنيس" الأعمال الفنية، بمعنى القول بوجود فن نسوي، وآخر ذكوري، مشيرا إلى أن الأجداد وجدوا على جدران الكهوف في مختلف الأوطان والحضارات كنوزا فنية هائلة، معظمها لا نعرف من رسمها ونقشها وأبدعها أهو رجل أم امرأة، وهي أعمال فنية عظيمة مثار فخر واعتزاز للشعوب، وهذا يعد دليلا قويا على أن الفن التشكيلي لا يحتكره جنس دون آخر.

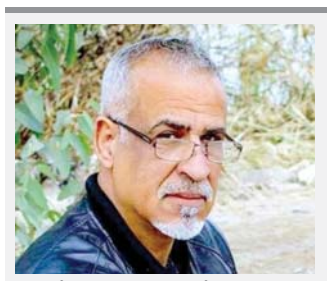

شكري حامد الشبيب

> المخرجات الفنية للفنانين العرب جيدة، بفضل سعيهم للتحرر من عزلتهم، وتحقيق ذواتهم

وشدد الشبيب، على أن المرأة تمتلك من مقومات النجاح ما لا يقل عمّا يمتلكه الرجل، وأن الفنانة التشكيلية العربية لم يُسلّط عليها الضوء، "وقد صارت منافسا وندا قويا للرجل في السنوات الأخيرة، بعد أن نجحت في الجمع بين الأصالة والمعاصرة".

وحول تجربته الفنية الخاصة، قال الشبيب إنه حاول أن يخط لنفسه خطا مغايرا عن بقية أقرانه من فناني جيله، وأن يستلهم أعماله من خيال يراه خصبا، ويتناول موضوعات إنسانية عدة مثل مقاومة الظلم والاضطهاد، و"التأسيس لخيوط أمل يرتكز عليها المتلقي في أعماله الفنية وهو يتسمرُ أمامها ليحلل شفراتها التي كانت مصدرا لقوتها – أي قوة أعماله الفنية – في بعض الأحيان".

ولفت إلى أنه يُبحر بعيدا باستخدام قلمه الجاف في خطوط متناهية الدقة وباتجاه واحد وبزاوية حادة تعني له "الإصرار والترصد لقضية ما".

وقال الفنان إنه يعطي للمتلقي حرية التأويل في ما يرى، ويعطيه رأس الخيط للكشف عن تأويلات يربطها بواقعه، وإنه ينفذ أعماله عبر تقديمه لحالات حياتية وجعلها رمزا يحاكي به الحالات التي يعيشها المجتمع، وإنه يبدأ بأخذ حالة معينة كما أخذ "ديك الصباح"، وهو رمز يعني له بداية يوم جديد بتفاصيل ذلك اليوم من قهر ومعاناة وتعسف واضطهاد يعيشها المجتمع في كل بقاع الأرض دونما استثناء، ويجعله متحجرا، ومكسورا بعض الشيء، وهذا يعني بقاء الحال على ما هو عليه حتى يصيبه التجمد والتحجر لقدمه.

وأضاف أنه في رسمه للديك المتحجر المتهالك نتيجة لتقادم الزمان عليه دون حراك رسم أسلاكا ترمز للأمل في أن يرجع الديك إلى الحياة، وأنه يستلهم الكثير من أعماله من مواقف حياتيه يجعلها "مادة فنية لخطابه التحريضي ضد العالم الظالم في أي زمان وأي مكان".

ويتابع الشبيب أن الرمز حاضر في كل أعماله الفنية، وأن التأويل هو عنصر مهم بالنسبة إليه.

يذكر أن الفنان التشكيلي العراقي، شكري حامد الشبيب، هو خريج كلية الفنون الجميلة ببغداد، تخصص رسم، وقد أقام معرضه الشخصي الأول بقاعة الرواق في العاصمة بغداد عام 2000، توالت بعدها معارضه الخاصة والمشتركة والتي وصلت إلى عشرة معارض.

ومن أهم مشاركاته الجماعية في المعارض والملتقيات الفنية، مشاركته بمعرض جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين، ومعرض مهرجان بابل الدولي لعدة دورات متتالية، وله مقتنيات في دول عدة بينها ألمانيا وفرنسا والسويد وتركيا، وهو أيضا كاتب وناقد فني، كما كتب الكثير من المقالات عن أعماله التشكيلية.

لوحات رهانها التأويل